حوار العدد:

مع فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السليمان
في قضايا الترجمة والتأثيل والقاموس التاريخي

مضامين الحوار الذي أجرته هيئة التحرير
مع الخبير في قضايا التأثيل والترجمة والاصطلاح
الأستاذ الدكتور عبد الرحمان السليمان[1]
المدرس بجامعة لوفان ببلجيكا

السلام عليكم، تود هيئة تحرير مجلة مصطلحيات تقديم الشكر لكم لقبول دعوة إجراء هذا الحوار لإفادة القارئ العام والمتخصص بانشغالاتكم المعرفية ومشاريعكم العلمية الأكاديمية.

س 1:

- بداية: ما فائدة "علم التأثيل" (l'étymologie) واللسانيات المقارنة للمقبلين على تشييد "المعجم التاريخي للغة العربية"؟

نستعمل مصطلح "علم التأثيل" مقابل المصطلح الإنكليزي (etymology) للتدليل على العلم الذي يدرس الأصل التاريخي للكلمات باعتماد منهج المقارنة بين الصيغ اللغوية والدلالات المعنوية لتمييز الأصول من الفروع والتأريخ للتطورات اللسانية التي مرت بها الصيغ والدلالات عبر التاريخ. ولتوظيف علم التأثيل في البحث اللغوي مستويات مختلفة أهمها: توظيفه مع علم اللغة المقارن (أو اللسانيات المقارنة كما جاء في سؤالكم) عندما تكون اللغة موضوع البحث عضوًا في أسرة لغوية مثل العربية التي تنتمي إلى أسرة اللغات الحامية السامية (أو اللغات الأفرورآسيوية أو اللغات الجزيرية ونحن نفضل هذا المصطلح الأخير). وتتكون هذه الأسرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية

1- عبد الرحمن السليمان (1381ه =1962م): لغوي وأديب ومترجم. وُلد في مدينة حماة في سورية، درس في اليونان وفي بلجيكا، يعمل أستاذا للغة العربية والترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا.

الثالثة قبل الميلاد حتى اليوم، وفي منطقة امتدت وتمتد من الجزيرة العربية حتى المغرب، ومن جنوب تركيا حتى إثيوبيا. أشهر تلك اللغات العربية والأكادية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والعبرية والحبشية والمصرية القديمة والأمازيغية.

نوظّف علم اللغة المقارن في الدراسات العربية (1) من أجل التأثيل للمفردات في اللغة بضبط علاقتها مع ما يجانسها تأثيليًا في اللغات الجزيرية وجرد المادة اللغوية المشتركة بينها، و(2) من أجل ضبط المعرب والدخيل سواء أكان من لغات جزيرية أو من لغات تنتمي إلى أسر لغوية أخرى، و(3) من أجل تصويب الأخطاء الشائعة في المصطلحات والمفاهيم، و(4) من أجل تفادي أخطاء الترجمة والتعريب ووضع المصطلح الجديد وتَقْييسه أو مَعْيَرَته، و(5) من أجل تفكيك الدعاوى المتعلقة باللغة العربية بشكل عام.

فالتأثيل للمفردات يهدف إلى الوصول إلى الأصل التاريخي للكلمات باعتماد منهج المقارنة علم اللغة المقارن. وهو جانب واحد من جوانب المعجم التاريخي، ولكنه جانب مهم جدًا، ذلك أن التأثيل في سياق علم اللغة المقارنة هو التأريخ الاشتقاقي للمفردة وهو غير التأريخ الزمني لها. فالتأثيل يؤصل اللفظة بردها إلى جذرها بالمقارنة مع ما يجانسه من جذور ومفردات في اللغات الجزيرية ويفتح آفاقًا للاجتهاد، بينما يختص التأريخ الزمني للمفردة بتتبع تاريخها منذ ضبط وجودها في الكتب والمدونات. فالتأريخ التأثيلي للكلمة ينظر في أصلها الذي سبق ظهورها في الكتب، والتأريخ الزمني لها ينظر في تاريخها منذ ظهورها في الكتب. والغاية من الأول معرفة اشتقاق اللفظة في اللغة والنظر فيما يجانسها مبنى ومعنى في اللغات التي تكون معها أسرة لغوية واحدة، والغاية من الثاني هو التأريخ لظهور تلك اللفظة في الأدب بمفهومه الأوسع، والحمولات الدلالية التي اكتسبتها تلك اللفظة عبر القرون وكذلك ما اشتق منها من مفردات وضبط ذلك كله. إن توظيف علم اللغة المقارن وعلم التأثيل في الدراسات اللغوية العربية أمر لا بد منه إذا أردنا أن نؤرخ للمفردة العربية تأريخًا تأثيليًا دقيقًا، وأن نبين آليات الترجمة والوضع، وأن نوظف نتائج ذلك التأريخ للمفردات العربية والتبيين للآليات المتبعة في علم المصطلح، وفي وضعه ونحته.

س2:

- هل تعمّ فائدة التأثيل اللغة العامة (لغة المتداول اليومي) واللغات الخاصة (القطاعية - الاصطلاحية)؟ أم تقتصر فائدته على الأولى فقط؟

تعم فائدة التأثيل اللغة العامة واللغة الخاصة على السواء.

لنأخذ على سبيل المثال اسم مدينة (بابل) الذي تقول التوراة بشأنه إنه مشتق من بلبلة الرب لألسن الخلق بعد بنائهم برج بابل، بينما الحقيقة اللغوية لهذ الاسم هي أن اسم مدينة (بابل) مشتق من اللغة البابلية كما يلي: /باب إلّي(م)1 / (Bāb ʾill-īm) أي "باب الآلهة". وعلم التأثيل يبين ذلك.

1الميم الصغيرة في نهاية الكلمات الأكادية والكلمات المنسوبة إلى اللغة الجزيرية الأم، هي علامة الإعراب الذي هو فيهما بالميم (تمويم) وليس بالنون (تنوين) كما هي الحال عليه في العربية. والتمويم هو الأصل، وقد انقلبت الميم نونًا في العربية.

أما بالنسبة للغة الخاصة، فلنأخذ كلمة (قانون) مثالاً. فكثيراً ما نسمع أن كلمة (قانون) معربة عن اليونانية (kanón = κανόν) التي تعني فيها "قاعدة"، وفي الأصل: "خط للقياس". وبالنظر في أصل الكلمة يتضح أنها مشتقة من اليونانية (kanón = κανόν) التي تعني فيها "قصب". وقد انتقلت هذه الكلمة اليونانية إلى اللاتينية (canon) ومن اللاتينية إلى أكثر لغات الغرب. وعند التدقيق في الكلمة اليونانية يتضح أنها مستعارة من اللغات الجزيرية، إذ جاء في الأكادية (مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد): /قَنُو/ "قصب"، وكذلك في العبرية קָנֶה = /قانِه/ "قصب" أيضًا. أما في الحبشية فتعني /قنوت/ qanōt = "عصا وخز" (لوخز الماشية لحثها على المسير). وهي في الفينيقية (= قنا) وفي الآرامية والسريانية (ܩܢܝܐ = /قَنْيا/) وأخيراً في العربية (= قناة، قنا) "الرمح". وأصل القناة: "العصا" المستوية. قال في اللسان (مادة /قنا/): "وكل عصًا مستوية فهي قناة". والعصا المستوية هي العصا التي يقاس بها ويرسم بها الخط المستقيم، وهذا معنى "قانون" الأصلي في اليونانية، أي "خط للقياس"، ثم استعمل مجازًا ليدل على "القاعدة". وترجمه الأوروبيون إلى لغاتهم حسب المعنى بـ Rule بالإنكليزية و Règleبالفرنسية. ومن الطريف أن المغاربة ترجموا Règle الفرنسية إلى (مسطرة) بمعنى الإجراء القانوني. فمسطرة في الاستعمال القانوني المغربي ترجمة مستعارة عن Règle الفرنسية التي هي بدورها ترجمة عن اليونانية (kanón = κανόν) التي هي بدورها استعارة من البابلية (قَنُو) التي تجانس تأثيلياً (قناة) في العربية. وهكذا يثبت أخذ اليونان لها عن اللغات الجزيرية، ذلك أن اليونان جاؤوا ألفي سنة بعد الأكاديين الذين جاء في لغتهم: /قَنُو/ وهي القصبة المستقيمة، فيبطل ادعاء استعارتها عن اليونانية. وعليه قس.

س 3:

- استخدمتم في دراساتكم العلمية الكثير من المصطلحات المولدة (المستحدثة)، هل يمكنكم إفادة القارئ بدقائق تأثيل مصطلحي: "اللغات الجزيرية" و"اللغة النوصطراطية"؟

ظهرت تسمية (اللغات السامية) سنة 1781، وأطلقها المستشرقان الألمانيان شلوتزر (Schloezer) وايكهورن (Eichhorn) اللذان أخذاها عن التصنيف التوراتي للبشر بعد الطوفان، أي نسبة لأبناء نوح وهم: سام وحام ويافث.1 أما تسمية (اللغات السامية الحامية) التي كانت فيما بعد، فهي مركبة قياساً بأسرة (اللغات الهندية الأوربية). وهذا التصنيف غير دقيق في جميع الأحوال لأنه يعتبر الفينيقيين الذين يتحدثون لغة "سامية" حاميين لأنه كان بينهم وبين اليهود الذين دونوا التوراة عداوات كثيرة. أضف إلى ذلك أن الأفارقة اعتبروا من سلالة حام الملعون، لأن التوراة تنسب إلى نوح عليه السلام لعنته حامًا الذي لم يغط عورة أبيه حسب رواية التوراة2، مما برر للغربيين فيما بعد استرقاقهم.

---

1 انظر سفر التكوين، الإصحاح 10، الآيات 21 إلى31، وكذلك الإصحاح 11 الآيات 10 إلى 26.

2 انظر سفر التكوين، الإصحاح 9، الآيات 20-27. الإصحاح 9

ولما كانت تسمية (اللغات السامية الحامية) أثارت جدلاً واسعًا فيما بعد لأسباب لا يتسع هذا الملخص لذكرها، فقد استبدلت في الأوساط البحثية بتسمية (اللغات الأفرو-آسيوية). أما نحن فنستعمل تسمية (اللغات الجزيرية) ونميز بين (اللغات الجزيرية الشرقية) كناية عن أسرة (اللغات السامية)، وبين (اللغات الجزيرية الغربية) كناية عن أسرة (اللغات الحامية). إن مصطلَح (اللغات الجزيرية) أقرب إلى الحقيقة التاريخية من غيره من المصطلحات المستعملة للدلالة على هذه الأسرة اللغوية المهمة لأن أولئك الأقوام خرجوا جميعهم من شبه الجزيرة العربية إلى العراق والشام وإفريقيا كما يذهب أكثر الباحثين إلى ذلك. وهذه التسمية ليست لنا، ذلك أن أول مَن أطلق مصطلَح (اللغات الجزيرية) هو عالِم الآثار العراقي الأستاذ طه باقر في كتابه (من تراثنا اللغوي القديم - ما يسمّى في العربية بالدخيل)، حيث يناقش فيه مصطلح (الأقوام السامية) لشلوتزر بناء على سِفر التكوين، فيقول: "ولذلك، فهي [يقصد التوراة] ليست تأريخًا معتَمَدًا. وإذن، فبماذا نسمّي أولئك الأقوام؟ وموجز الإجابة على ذلك أنه بالاستناد إلى الرأي الذي أصبح حقيقةً مُجمَعًا عليها بين الباحثين الآن، وهي إنّ الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية السّاميين وأبرزهم الأكاديون والكنعانيون، والعموريون والآراميون والعبرانيون والفينيقيون وغيرهم، فالاسم الصحيح من الناحية التأريخية والقومية والجغرافية هو أن نُطلق عليهم (أقوام الجزيرة) أو (الجزيريين) أو (الجزريين) أو (الأقوام العربية القديمة)، فقد هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد من العصور التأريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يَصحُّ القول: إنّ الأصول العربية فيها تَطغى على تركيب سكّانها وعلى لغاتها".1

أما فيما يتعلق بمصطلح (اللغات النوصطراطية)، فهو تعريب للمصطلح الإنكليزي (The Nostratic Language). يعتقد، في بعض الأوساط العلمية، أن هنالك قرابة بعيدة بين أسرة اللغات الجزيرية من جهة، وأسرة اللغات الهندية الأوربية من جهة أخرى، إذ توجد نظرية لغوية مفادها أن اللغات الجزيرية من جهة، واللغات الهندية الأوربية من جهة أخرى، تعود كلها إلى أصل لغوي واحد، هو لغة افتراضية اصطلح على تسميتها بـ "اللغة النوصطراطية" أو (The Nostratic Language).2 وقد جمع مولر في كتابه "قاموس مقارن للغات الهندية الأوربية والسامية"3 معظم الجذور المشتركة بين هذه اللغات، واهتدى إلى القوانين الصوتية التي تحدد القرابة اللغوية بينها. وقد طور هذه النظرية وهذبها برونر في كتابه "الجذور المشتركة للمفردات الجزيرية والهندية الأوربية".4 ويبدو من هذين الكتابين أن القرابة اللغوية (أي المعجمية) ثابتة بين اللغات الجزيرية واللغات الهندية. وقد اهتدى الباحثان أعلاه إلى بعض القوانين الصوتية التي تحكم التطور الحاصل في مفردات تلك اللغات. من تلك القوانين

---

1 انظر باقر طه، 17:1980. وهذا – بالضبط – ما جعل الأستاذ أحمد شحلان وأتباع مدرسته يسمون هذه اللغات: "اللغات العُروُبية".

2 انظر Moscati S. (1964)، الصفحة 17.

3 انظر: Hermann Möller (1911).

4 انظر: Linus Brunner (1969).

الصوتية: /التاء/ في اللغات الجزيرية تجانس تأثيليا /التاء/ و/الثاء/ في اللغات الهندية الأوربية. مثال:

الأكادية: /فيتُ (petu)/ [وأصلها: /بَتَحَ/ بالـ p، وقد حالت الكتابة المسمارية دون رسمها كما كانت تلفظ] "فتحَ"؛ العربية /فتَحَ/؛ العبرية: פתח = /باتَح (pātaḥ)/ "فتحَ" [السريانية وكل اللغات الجزيرية تقريباً: ܦܬܚ = /فِتَح/ "فتحَ"]؛ المصرية القديمة: /فْتِح (pteḥ)/؛ اليونانية πετάννυμι = petánnumi "فتَح، انفتحَ، توسَّع"؛ اللاتينية: patēre "انفتح؛ تفتّحَ؛ توسّعَ" وكذلك pandere "فتحَ؛ وسَّعَ" [بالإضافة إلى بعض اللغات الأوربية الأخرى].1

س 4:

- تحدثتم في دراساتكم التأثيلية للمصطلحات عن مقاربة تفكيكية. ما مرتكزات هذه المقاربة؟ وهل من نماذج موضحة في هذا الصدد؟

إن "علم اللغة المقارن" فرع من فروع علم اللغة التاريخي الذي يدرس اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحد دراسة مقارنة على (أ) المستوى الصوتي و(ب) المستوى الصرفي و(ج) المستوى النحوي و(د) المستوى المعجمي بهدف تحديد الصلة التاريخية بين تلك اللغات من جهة وضبط أصول الكلام بشكل عام.

وأمثل على تطبيق المنهج التأثيلي بكلمة (لَحْم) وبكلمة (بَشَر) في اللغات الجزيرية، فلقد وردت كلمة (لحم) في الأكادية/البابلية كما يلي: /لِيم(م) / (وأصلها: لحم(م) لأن الكتابة المسمارية لا تظهر الحاء) ومعناها: "ذوق"؛ وفي الأوغاريتية: /لَحْم/ "خبز، طعام"؛ وفي السريانية: ܠܚܡ = /لَحْما/ "خبز، طعام"؛ وفي العبرية: לחם = /لِحِم/ "خبز، طعام"؛ وأخيراً في العربية: /لَحم:/ "اللحم". يتضح جليًا من النظر في هذا الجذر ومن الاستقراء الأولي له أنه يعني في هذه اللغات "الطعام" بمعنى: "مادة الغذاء الرئيسية"، وكان هذا "الطعام" عند أوائل الجزيريين "اللحم" لأنهم كانوا بدوًا، والبدوي يصطاد ويشوي ويأكل كما هو معلوم، ولا يزرع القمح أو يعالجه خبزًا. وتحول مفهوم هذه الكلمة الدلالي نتيجة لتطور حياة الجزيريين الاجتماعية، فدل عند قوم على "اللحم"، وعند قوم على "الخبز".2 فالآراميون والعبران تمدنوا قبل عموم عرب الشمال (تحضر عرب الجنوب قبل عرب الشمال بقرون كثيرة)، وانتقلوا من حياة البداوة والصيد إلى حياة الاستقرار والفلاحة، فتطور مفهوم /لحم/ - الذي كان يدل عندهم على المادة الغذائية الرئيسية - من /لحم/ إلى /خبز/ كما يبدو جليًا.

أما كلمة (بَشَر) المشتقة من الجذر الجزيري /ب ش ر/، فقد وردت في الأكادية هكذا: /بِشْرُ(م)/ "لحم"؛ وفي الأوغاريتية: /بَشَر/ "لحم"؛ وفي السريانية: ܒܣܪܐ = /بِسْرا/ "لحم"؛ وفي

---

1 إلى جانب القرابة المعجمية هنالك تجانس واضح وقرابة بنوية ملحوظة بين اللغات الجزيرية من جهة، واللغات الهندية الأوربية، وأهمها اشتراك الأسرتين اللغويتين في الظواهر النحوية العامة مثل تصريف الأفعال وإعراب الأسماء والجنس والعدد وظواهر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها هنا.

2 يختلف "الطعام الأساسي" في العربية اليوم باختلاف التقاليد المحلية، فهو عند المصريين "الخبز أو العِيش"، وهو عند المغاربة "الطعام أو الكُسكُس" المصنوع من دقيق القمح الخ.

الحميرية: /بَسَر/ "لحم"؛ وفي العبرية בָּשָׂר = /باسار/ "لحم" وفي العربية /بَشَرٌ/ "البشر". والأصل في هذا الجذر هو /بشر/ كما هو واضح، أي بالشين التي انقلبت فيما بعد سيناً في بعض اللغات الجزيرية ومنها العبرية والآرامية/السريانية. والشاهد أن هذا الجذر يعني في معظم اللغات الجزيرية "اللحم" بينما يعني في العربية "البَشر". إلا أن ورود בָּשָׂר = /باسار/ العبرية في موضع في التوراة بمعنى "البشر" وليس اللحم، يؤكد أصالة المعنى العربي، فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع (الإصحاح 5 الآية 23 أو 26 حسب ترتيب آخر): כָּל-בָּשָׂר אֲשֶׁר שָׁמַע קוֹל אֱלֹהִים חַיִּים.1 النقحرة: كُلْ باسار أشِر شامَع قُولْ إلُوهِيم حَيِّيم. الترجمة الحرفية: "كل البشر الذين سمعوا صوتَ الآلهة الأحياء".2

الخلاصة التي نستنتجها في أن المعنى الأصلي لـ (لحم) هو "اللحم" واليس "الخبز"، وأن المعنى الأصلي لـ (بَشَر) هو "البَشَر" وليس "اللحم". وعليه قس.

س 5 :

- ما هي الحجج التأثيلية التي استندتم إليها في استعمالكم مصطلح "علمانية" [بفتح العين] ونقدكم لتوظيف المفكر المغربي "طه عبد الرحمن" مصطلح "علمانية" [بكسر العين]؟

بداية لا بد من التوضيح أن الحكيم المغربي طه عبدالرحمن لا يكسر عين (عَلمانية) فهو من أعلم بمفاهيمها الأصلية وبالتالي بضرورة نطقها بفتح العين. لذلك حاول الحكيم في كتبه المختلفة فرز المفاهيم المرتبطة بالحركة العَلمانية، ووضع طائفة من المصطلحات في كتبه ومنها كتاب "بؤس الدهرانية"،3 حيث وظف فيه مصطلح (الدُّنيانية) الذي يقرب مفهومه عنده من مفهوم المصطلح الإنكليزي Secularisation. ويشير مصطلح (الدُّنيانية) عند الحكيم طه عبدالرحمن إلى "فصل الحداثةِ العلمَ والفنَّ والقانونَ والسياسةَ والأخلاقَ عن الدين".4 تتعدد صور (الدُّنيانية) عند الحكيم طه عبدالرحمن بتعدد الفصول، ومن ذلك:

(العَلمانية) - بفتح العين: الصورة الدُّنيانية التي اختصت بفصل السياسة عن الدين؛

(العِلمانية) - بكسر العين: الصورة الدُّنيانية التي اختصت بفصل العلم عن الدين؛

(الدَّهرانية): الصورة الدُّنيانية التي اختصت بفصل الأخلاق عن الدين.

وتركّز نقدنا على توظيف الحكيم مصطلح (العِلمانية) - بكسر العين الذي يحدها بأنه "الصورة الدُّنيانية التي اختصت بفصل العلم عن الدين". ونحن لم نر هذا التوظيف موفقًا لما سيرد أدناه.

اتبعنا في استقراء مصطلح (العلمانية) – بدون تحريك عين الكلمة! – في العربية مسلكين. المسلك الأول: فرز المفاهيم التي تجتمع في مصطلح (عَلمانية) العربية. المسلك

1الأمثلة المأخوذة من العهد القديم هي من طبعة العهد القديم العلمية التي صدرت في ألمانيا. انظر: Rudolph, W. & Ruger, H. P. (1976-1977) في قائمة المراجع.

2 אֱלֹהִים חַיִּים = إلُوهِيم حَيِّيم. (إلُوهِيم) جمع مذكر سالم والصفة (حَيِّيم) مجموعة جمع مذكر سالم لأن الصفة في العبرية كالصفة في العربية تتبع الموصوف. ومعنى الجملة الحرفي: "الآلهة الأحياء". وهذا من بقايا الوثنية في اليهودية.

3انظر: (عبدالرحمن، طه (2014).

4 انظر عبدالرحمن، طه (11:2014).

الثاني: استقراء تلك المفاهيم في اللغات الأصلية بتطبيق مناهج علم اللغة المقارن وعلم التأثيل عليها. أثبت الاستقراء بأن خمسة مفاهيم تراكمت في مصطلحنا (عَلمانية)، ثلاثة منها غربية (أ) مفهوم (العَلْمانية) القديم أي جعل الشيء عاميًا بعكس الكهنوتي" (laicism) الذي نشأ في القرن الرابع للميلاد؛ و(ب) مفهوم "الدنيوية" (secularism) الذي نشأ في إنكلترا سنة 1851؛ و(ج) مفهوم الإيديولوجية العَلْمانية "اللائيكية" (laïcité) الذي أدخل في الاستعمال في فرنسا سنة 1871 للدلالة على هذه الإيديولوجية فيها؛ واثنان منها تلبَّسا مصطلح (علمانية) بعد إدخاله في العربية تلبُّسا منكرًا هما (د) العِلْم و(هـ) الإلحاد. وليس العلم والإلحاد من مفاهيم مصطلح (العَلمانية) الأصلية.

إذن إن مصطلح (العَلمانية) في العربية من المصطلحات المركبة في الثقافة العربية، ويحتاج إلى تفكيك لمفاهيمه الأصلية وفرزها أكثر منه إلى مراكمة إضافية للمفاهيم فيه، لذلك نقدنا توظيف الحكيم المغربي طه عبدالرحمن مصطلح (العِلمانية) بكسر العين للتدليل على "الصورة الدُّنيانية التي اختصت بفصل العلم عن الدين"، ودعونا إلى عدم توظيفه في أي مجال من مجالات البحث في الفكر العَلماني وإلى تحسيس الناس بخطئه إذ لا علاقة – على الإطلاق – بين المفاهيم الغربية الثلاثة التي تؤديها كلمتنا العربية (عَلمانية)، وبين (العِلم)، لا من قريب ولا من بعيد.

س 6:

- أرجع المرحوم "عبد العزيز بنعبد اللّه" – المدير المسؤول لمكتب تنسيق التعريب ما بين سنوات 1961 و1983- في مقالات نُشرت بمجلة "اللسان العربي" الكثير مما سماه اللغات السامية والهندية الأوروبية إلى أصل عربي. فما موقف اللسانيات الحديثة من مضامين هذا الجهد التأثيلي؟

لا يوجد دليل علمي يطمئن العقل إليه لرد كثير ممن اللغات الجزيرية (السامية) واللغات الهندية الأوروبية إلى أصل عربي أو القول إن العربية أصل هذه اللغات.

القرابة بين أسرة اللغات الجزيرية (السامية) ثابتة علميًا. وهذه اللغات متقاربة في مجالات الأصوات والصرف والنحو وخصوصا المفردات. والمفردات المشتركة بين هذه الأسرة هي مشتركة لا يمكن نسبتها إلى هذه اللغة الجزيرية أو تلك. مثلا: (باب) و(يد) و(كتب) من الجذور المشتركة بين هذه اللغات، ولا يجوز علميًا القول إن هذه اللغة أخذت هذه اللفظة عن تلك اللغة. نستثني من ذلك ما كان مخصوصًا ببلغة دون غيرها لاختصاص ذلك. مثلاً: (زكاة) بمعنى "الطهارة" كلمة مشتركة بين أسرة اللغات الجزيرية (السامية). أما كلمة (زكاة) بمعنى النصاب فهو مفهوم إسلامي مخصوص بالعربية.

بالنسبة إلى القرابة بين اللغات الجزيرية (السامية) واللغات الهندية الأوروبية فقد ذكرت في السؤال الثالث، عند حديثي عن (اللغات النوصطراطية)، التعليل العلمي لذلك، وهو رأي نظري موضع نظر بين علماء اللغات وليس رأيًا قطعيًا.

فكلام المرحوم عبد العزيز بنعبد اللّه مؤسس على التشابه اللفظي بين كلمات عربية وكلمات جزيرية (سامية) هي في الحقيقة مادة لغوية مشتركة داخل الأسرة اللغوية الواحدة،

من جهة، وبين كلمات عربية وكلمات من أسرة اللغات الهندية الأوروبية من جهة أخرى، تكون إما مادة مشتركة حسب رأي أصحاب نظرية (اللغات النوصطراطية)، أو نتيجة للتقارض بين العربية وتلك اللغات، أو نتيجة للصدفة التاريخية.

س 7 :

- ما هي الأسباب التي أخرت ظهور المعجم التاريخي للغة العربية إلى يومنا هذا؟ وهل يمكن للمعجم الإيتيمولوجي: التأثيلي (كذلك الذي شرع فريق الخبير "استيفان غوث" في تصنيفه) أن يغني عن المشروع الأول بالنظر إلى تضمنه لمواد من المفروض أن توجد بالمعجم التاريخي؟

أي مشروع علمي طويل الأمد يحتاج تنفيذه إلى ثلاثة شروط يجب أن تكون متوفرة: (1) الكفاءات العلمية و(2) التمويل و(3) الاستقرار السياسي. في حال توفر هذه الشروط الثلاثة فإن وضع المعجم التاريخي الذي يؤرخ للغة على مستوياتها الأربعة (الأصوات والصرف والنحو والمفردات) يحتاج إلى مائة سنة على الأقل. وهذا ما تضمنته خطة اتحاد مجامع اللغة العربية في القاهرة التي وضعها لهم العلامة الدكتور علي القاسمي.

استقلت معظم الدول العربية بعيد الحرب العالمية الثانية، وعرفت بعض الدول العربية المحورية خلافات كثيرة فيما بينها حالت دون تنفيذ مشاريع مشتركة مثل كالموسوعة والمعجم التاريخي. كما أن تأخر التمويل وهجرة العقول العربية إلى الخارج ساهما في تأخر صدور المعجم التاريخي للغة العربية.

التأثيل هو التأريخ الاشتقاقي للمفردة وليس التأريخ الزمني لها. وهو جانب من عملية التأريخ للمفردة بشكل عام، ولا يُغني بحال من الأحوال عن المعجم التاريخي الذي يفترض فيه أن يؤرخ للغة بأصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها منذ ظهورها في النصوص حتى اليوم.

س 8 :

- أوليتم عناية بارزة في مدارساتكم وأبحاثكم للترجمة، هل ثمة علاقة بين الترجمة والصناعتين المعجمية والمصطلحية؟

أظهر تقرير أممي كان نشر بداية الألفية الثالثة كم هي مزرية حركة الترجمة في العالم العربي. نتيجة لذلك، شعرت مجموعة من المترجمين العرب الغيورين على لغتهم وثقافتهم – العبد الفقير منهم – بحجم المأساة، فحاولوا أن يفعلوا شيئًا تجاه هذه الحالة المخزية. فأسسوا الجمعية الدولية لمترجمي العربية www.atinternational.org()، وهي جمعية دولية ذات صفة قانونية اعتبارية، بهدف الإسهام في تحقيق نهضة علمية وثقافية في الوطن العربي بواسطة الترجمة والعمل على أن يساهم العالم العربي في مسيرة الحضارة البشرية. وتتمثل رسالة الجمعية في حشد طاقات المشتغلين بالترجمة من العربية وإليها وتسخيرها في سبيل الارتقاء بالوضع المادي والاعتباري للمترجم المشتغل باللغة العربية والتعبير عن آلامه

وآماله والدفاع عن مصالحه أينما كان وذلك في إطار القوانين والأعراف، وكذلك تحسيس أصحاب القرار في العالم العربي بأهمية الترجمة من أجل تحقيق نهضة علمية وثقافية في الوطن العربي.

تتمثل إنجازات الجمعية – باختصار شديد – في (أ) لم شمل الآلاف من المترجمين المشتغلين بالترجمة من العربية وإليها، و(ب) إطلاق موقع رقمي يمكن وصفه بأنه أكبر مخزون علمي مخصوص بالترجمة في الشبكة اليوم يزوره يوميًا عشرات الآلاف من طلاب الترجمة والمترجمين وسائر المشتغلين باللغة وعلومها النظرية والتطبيقية، و(ج) إطلاق سلسلتين من المنشورات باللغة الإنكليزية صدر منها حتى الآن عشرة كتب بهدف نشر الثقافة العربية الإسلامية في العالم، و(د) نشر مجلة علمية محكمة مخصوصة بالترجمة علما وصناعة و(ه) تنظيم العديد من الدورات والمحاضرات الرقمية و(و) مبادرات منها متابعة المعجم الأمريكي (ويبستر) وإلزامه بحذف تعريفات مشينة للعربي من نسخته الرقمية وهو ما تم فعلا.

من جهة أخرى، تصدرتُ منذ سنة 2003 لتدريس الترجمة الأدبية والترجمة الأدبية في جامعة لوفان في بلجيكا، وأشتغل من وقتها في البحث العلمي المتعلق بالترجمة – علمًا وتطبيقًا وصناعةً تكنولوجيةً – لإيماني العميق بأن المكتبة العربية بحاجة إلى دراسات كثيرة في هذه المجالات. وأحرص على نشر ملخصات لكل أبحاثي في موقع الجمعية وإتاحته أمام القراء على الدوام. ومارستُ الترجمة ولا أزال أمارسها منذ ثلاثين سنة، وممارسة الترجمة هي بالضرورة دراسة مقارنة في صرف اللغتين موضوعي الترجمة، وتركيبهما، ومفرداتهما، واستعمالاتهما الدلالية، وهذا كله يشكل علاقة متينة جدًا بين الصناعتين المعجمية والمصطلحية.

س 9 :

- نودّ أن نستكشف موقفكم انطلاقا من خبرتكم في الدراسات الترجمية: هل يصحّ استثمار النظرية الغائية في الترجمة (أو نظرية الهدف) – القائمة على مراعاة خصوصية اللغتين الأصل والهدف [المنقول والمنقول إليه] – في ترجمة جميع النصوص اللغوية والعلمية بشتى تخصصاتها وأنواعها؟ أم يقتصر تطبيق النظرية على اللغة القانونية؟

لا يقتصر تطبيق النظرية الغائية (أو نظرية الهدف) على اللغات القانونية فحسب، بل ويشمل سائر النصوص الأخرى أيضًا. تمكن هذه النظرية التي طورها هانس فيرمير (Hans J. Vermeer) من وضع ترجمات تأخذ بعين الاعتبار النص الأصلي من جهة، والنص الهدف من جهة أخرى، لكنها تركز كثيراً على الغاية المتوخاة من الترجمة (الغاية/الهدف: skopos). وترى النظرية أن هدف الترجمة النهائي هو الذي يحدد للمترجم سلفًا الاستراتيجية التي ينبغي عليه أن يتبعها في ترجمته، وليس غير ذلك من عوامل. وتميز النظرية الغائية أيضًا بين نوعين من الترجمات: "الترجمات الوثائقية" (Documentary Translations) و"الترجمات الوظائفية" (Instrumental Translations). في النوع الأول يركز المترجم على القيمة التواصلية للوثيقة/النص - أية وثيقة/أي نص - بحيث يتمكن واضع الوثيقة/النص في اللغة المنقول

منها، من التواصل مع متلقي الوثيقة من اللغة المنقول إليها وذلك بأخذ جميع العوامل الثقافية للغة المنقول منها بعين الاعتبار. بكلام آخر: يحدد النص الأصلي، وثقافة النص الأصلي، وبنية النص الأصلي وعناصره اللغوية شروط الترجمة هنا، بحيث تأتي الترجمة في اللغة المنقول إليها تعبيراً دقيقًا عن النص الأصلي المترجَم. وأكثر ما يكون هذا النوع في الترجمة الأدبية والترجمة الدينية وما كان بحكمهما. أما في النوع الثاني، فإن هدف الترجمة يقتضي نشوء وظيفة جديدة في القيمة التواصلية بين واضع الوثيقة/النص في اللغة المنقول منها ومتلقي الوثيقة من اللغة المنقول إليها، تتمثل في احتفاظ النص المترجَم بالوظيفة ذاتها التي يملكها النص الأصلي. وأكثر ما يكون هذا النوع في الترجمة الإدارية والرسمية والقانونية.

س 10:

- هل تسوّغون للمترجم أن يستعين بالشروحات في متن الترجمة وهوامشها؟ أم يلزم التقيد بحدود النص المنقول؟

نعم، ولكن في حدوده الدنيا. الأصل في الترجمة أن نُعمل قاعدة التكافؤ الديناميكي في النصوص الأدبية أو التكافؤ الوظيفي النصوص القانونية، أو قاعدة التكافؤ اللفظي المعجمي عندما يستحيل تطبيق قاعدة التكافؤ الديناميكي أو الوظيفي. إذا استحال تطبيق هتين القاعدتين، نُعمل قاعدة الشرح في متن الترجمة، ونتجنب الشروح والحواشي والهوامش ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وغالبًا ما يكون الشرح في المتن1 ضرورياً كي يتم التواصل المطلوب، ذلك أن بعض المصطلحات والمفردات ذات الشحنة الثقافية الطاغية أو الارتباط الثقافي القوي بثقافة ما أو نظام قانوني ما متشبع بثقافة مغايرة، لا تفهم بذاتها، ولا بد من شرح مناسب أو توصيف لها كي تفهم وبالتالي كي يتم التواصل المنشود. إن تقنية الشرح في المتن تقنية مهمة جداً وتعتبر حلاً وسطًا لأنها تختزل المسافة البعيدة بين الثقافات المختلفة ولغاتها.

ويمكن أيضًا إيضاح ما يصعب شرحه في متن الترجمة في حاشية لكن تقنية الشرح في المتن تبقى أفضل من الشرح في حواشٍ لأن الحواشي تثقل على القارئ كثيراً، بينما تبدو عملية الشرح في المتن طبيعية لأن القارئ لا يتوقف عندها ربما لأنه لا يشعر بها أصلاً.

س 11 :

- نعلم أن النحت خاصية أساسية في اللغات الهندوأوروبية كالإغريقية واللاتينية واللغات الأوروبية الحديثة، وثانوية في اللغات السامية ومن ضمنها العربية.

هل ترخّصون للمترجم الإكثار من المنحوتات في نقل المصطلحات العلمية المرتبطة بجميع العلوم المادية والانسانية؟ أم تقيّدون اللجوء إلى هذه الوسيلة التوليدية بالمجالات العلمية المادية التي يكثر بها النحت، كمجالات الطب والفيزياء والكيمياء؟

---

1 تسمى هذه التقنية بالإنكليزية: translation by addition أو descriptive/self-explanatry translation.

للعربية آليات وضع اشتقاقية مخصوصة بها تختلف عن أليات الوضع النحتية في اللغات الهندية الأوروبية. ولا بد من تكوين المترجمين تكوينًا يمكنهم من امتلاك المفاتيح لصياغة المصطلحات والمفاهيم المستحدثة في اللغات الأجنبية تمهيداً لتوطينها في العربية، خاصة وأن المجامع اللغوية العربية الكثيرة لا تواكب تطور المصطلح كما ينبغي، فذلك أحسن بكثير من استعارة الألفاظ الأجنبية أو تقليد اللغات الأجنبية في الوضع نحتًا مما لا تستسغه العربية. ولكن بشرط أن يكون المترجمون ملمين بقواعد الاشتقاق وقواعد التعريب على أكمل وجه وهذا أضعف الإيمان. ويشمل هذا الرأي جميع العلوم والمعرف علوماً إنسانية أكانت أو تطبيقية.

ونمثل على ذلك بوزن (فاعُول) في العربية، فهذا من أوزان اسم الآلة في العربية الفصيحة. جاء منه في القديم: (ناقُوس) و(ساطُور) و(ناطُور). واشتق المحدثون على وزنه مصطلح (حاسُوب) للكمبيوتر. ونحن نشتق جميع المصطلحات الحاسوبية على هذا الوزن. من ذلك: مصطلح (خادُوم) تعريبًا لـ (server) – وهي أفضل بكثير (خادِم) التي اقترحها أحد اللغويين ترجمة حرفية لـ (server)، فهذه رديئة لأنها تضيف إلى لفظ قائم (= الخادِم) معنًى جديداً بدلاً من إفراد لفظة مخصوصة بها. ولقد أشرنا مراراً وتكراراً إلى ضرورة تجنب مراكمة المعاني الكثيرة في الكلمة الواحدة (الاشتراك اللفظي) وكذلك مراكمة المفاهيم العديدة في المصطلح الواحد لأن ذلك يؤدي إلى التشويش والبلبلة في الفهم. والعربية تعاني من ذلك كثيراً.

ومما اشتق المحدثون منه أيضا: (ناسُوخ) لآلة الفاكس؛ و(باحُوث) لمحرك البحث في الشبكة العنكبية مثل جوجل وغيره، و(رابُوط) لـ (Bluetooth) وهكذا دواليك.

س 12 :

- هل تقبلون إعلام القارئ بطبيعة مشاريعكم العلمية المستقبلية أو التي سترى النور قريبا.

صدر لي هذه السنة – بالتعاون مع مختبر الترجمة وتكامل المعارف في جامعة القاضي عياض في مراكش ومركز الكندي للترجمة فيها – الكتاب التالي:

عبدالرحمن السليمان (2019). دراسات في اللغة والتأثيل والمصطلح. الأردن: عالم الكتب الحديث. رقم الإيداع الدولي: 9789027263063.

كما أصدرتُ بمعية الدكتور أحمد الليثي رئيس الجمعية الدولية لمترجمي العربية، المجلد الثاني من موسوعة المصطلح الذي تصدرها دار النشر العالمية جون بنجامينز. الكتاب بالعنوان التالي:

Alsulaiman A., Allaithy A. (Eds.) (2019). Handbook of Terminology. Volume 2: Terminology in the Arab world. (Handbook of Terminology). Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. ISBN: 9789027263063.

وأضع الآن اللمسات الأخيرة على كتاب جديد بعنوان (دراسات في الترجمة) يصدر العام المقبل إن شاء الله، بالإضافة إلى نشر الترجمة العربية للمجلد الأول من موسوعة المصطلح

الذي تصدرها دار النشر العالمية جون بنجامينز، والتي أنجزت تحت إشراف الدكتور حسن درير والدكتور عبدالحميد زاهيد (جامعة القاضي عياض في مراكش) والعبد الفقير، وكذلك ترجمة المجلد الثاني من موسوعة المصطلح ونشرها إن شاء الله.

- أخيرا، تجدد هيئة التحرير الشكر لسيادتكم، وتتمنى لكم التوفيق في مشاريعكم العلمية الهادفة.

الشكر موصول لحضرتكم على إتاحة هذه الفرصة لي لمشاركتكم الحديث في أهمية توظيف التأثيل وعلم اللغة المقارن في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية.

إن المعجم التاريخي للغة العربية قبل كل شيء مؤسسة علمية تربوية معيارية يعتمد عليه الناطقون بالعربية من طلاب وأساتذة وباحثين من أجل ضبط المعاني والمفاهيم حسب ورودها في المدونات. ونحن نعتقد أن عدم توظيف علم التأثيل وعلم اللغة المقارن في الدراسات المعجمية والمصطلحية بشكل عام وفي تأليف المعجم التاريخي للغة العربية بشكل خاص قد يؤدي إلى الوقوع في الخطأ عند تعريب المصطلح الأجنبي وإلى سوء التقدير عند صياغته في العربية، وكذلك إلى فتح الباب على مصراعيه أمام محاولات تزوير الدلالات وإثارة الشبهات اللغوية وعولمة اللسان العربي. لذلك نوصي بما يلي عند تأليف المعجم التاريخي – أي معجم تاريخي – للغة العربية:

- مراجعة الشق المتعلق بالمجانسات التأثيلية أو النظائر الجزيرية (السامية) وتحكيمه وأن يقوم بذلك عرب متخصصون في المادة يعرفون اللغات الجزيرية/السامية ويطلعون على ما يكتب فيها ويقدرون على ربط نتائج الأبحاث بالمنظومة الفكرية للحضارة العربية الإسلامية وذلك بهدف: (أ) ضبط ما يدخل ضمن التراث اللغوي الجزيري/السامي المشترك و(ب) ضبط ما يدخل ضمن الاقتراض اللغوي بين اللغات الجزيرية و(ج) تفكيك الدعاوى المؤدلجة إن وجدت، ومنها دعوى المدعو كريستوف لوكسمبيرغ.1
- مراجعة الشق المتعلق بالمعرب والدخيل من خارج اللغات الجزيرية (السامية) وتحكيمه وأن يقوم بذلك عرب متخصصون في المادة يعرفون اللغات التي اتصلت العربية بها عبر تاريخها أو اللغات التي اقترضت العربية منها عبر وسيط ويطلعون على ما يكتب فيها ويقدرون على ربط نتائج الأبحاث بالمنظومة الفكرية للحضارة العربية الإسلامية.

1 انظر من أجل دعوى كريستوف لوكسمبيرغ: السليمان عبدالرحمن (2018).

أكرر شكري الجزيل للقائمين على مجلة (مصطلحيات) على إتاحة هذه الفرصة الكريمة لي للتواصل مع قرائكم الكرام عبرها.

مراجع أحيل عليها في الحوار:

باقر طه (1980). من تراثنا اللغوي القديم؛ ما يُسمّى في العربية بالدّخيل. بغداد. مطبعة المجمع العلمي العراقي.

طه عبدالرحمن (2014). بؤس الدهرانية. بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

السليمان عبدالرحمن (2018). دعاوى الأصول الآرامية/السريانية للغة العربية والقرآن الكريم. في: المرجعيات اليهودية والمسيحية في ترجمات معاني القرآن الكريم . أعمال مهداة إلى الدكتور أحمد شحلان. تقديم وتنسيق سعاد الكتبية، حسن درير، عبدالحميد زاهيد، عبدالرحمن السليمان ونورالدين حنيني. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الصفحة 1 – 49.

Brunner, L. (1969), Die gemeinsamen Wurzeln des semitischen und indogermanischen Wortschatzes. Bern.

Möller, H. (1911). Vergleichendes indogermanisch-semitisches Wörterbuch. Gottingen.

Moscati, S. (1964). An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Phonology and Morphology. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.